الدور الانقاذي ومنصة الانطلاق بما يفوق كثيراً أهميتها المجردة. ففي الملموس والمعيّن تضاعفت أهميتها مرات، دون أن ننسى، بل يتعين اضفاء بطولة "والبطولة عمل يستحق التعميم" على هؤلاء الذين شقوا الطريق وسجلوا صفحة مشرفة في تاريخ شعبهم، إذا جاز القول، واستخراج دروس نظرية من تلكم المواقف والخبرات أيضاً.

تسلط الرسالة كشافات قوية على قوانين، مفردات، معطيات، خبرات... العمل التنظيمي السري، بل هنا يكمن محورها الأساس، فهي حين تغوص في عمق التجربة وتناقضاتها ومعضلاتها إنما تكتشف وتعكس النبض الحي، النبض الذي يرتعش ويتدفق في شرايين التجربة العملية، بما هو قريب من مقولة (نظرية الممارسة). وحينذاك يتوحد الجهد البحثي بالمضامين التعبوية بما يسمح بتفادي عبارة (إن شعباً لا ذاكرة له لا مستقبل له) فلشعبنا ذاكرة تاريخية مديدة وذاكرة تحررية معاصرة، وبكلمات موشحة بالأيديولوجيا، لقد وجد ليبقى وينتظر فجر الحرية والعودة للديار أيضاً، الأمر الذي ينبغي التشبث به والعمل لأجله دون تردد.

## المنهجية

إذا كان صائباً إلى حد كبير الأخذ «بنظرية الممارسة» ذلك أن محرك الرسالة يبدأ وينتهي من البراكسيس الذي مثلته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل، براكسيس صنعه الناس وطوروه وتطوروا فيه، فاستصوبوا أفكاراً ومواقف وخطوات وجهوداً وصوبوا أفكاراً ومواقف وخطوات وجهوداً في عملية تراكمية، هي سيرورة الجبهة الشعبية، فمن الصائب أيضاً الإشارة إلى جذور الجبهة في حركة القوميين العرب وتأثرها بمقولات ومنظورات الفكر الاشتراكي الماركسي – اللينيني بعدئذ. غير أن البراكسيس المحلي كمخاض عملي / نظري كان القوة المركزية في بناء ورؤية الجبهة في الوطن المحتل ارتباطاً بخصائص النضال المباشر واستحقاقاته وضرباته ومستوى الموهبة والخبرة وطباع الكوادر الأساسية الذين قادوها في مختلف مراحلها ومحطاتها ومناشطاتها... فهي إنتاج محلي أولاً وعاشراً. وهذا البراكسيس بداهة إنما يفعل وينفعل في الإطار الكلي للجبهة والإطار الوطني الفلسطيني كذلك وحال الشعب في الداخل والخارج عموما، مثلما أن الكفاح التحرري الفلسطيني يندرج في سياق بنيوي لأمة العرب وخصائصها وصراعها مع المخطط الإمبريالي – الصهيوني، فالحلقة الفلسطينية ليست مفصولة ومنعزلة عن السلسلة العربية، فلم تكن الجغرافيا – السياسية العربية محايدة، بل لها نتائج كبيرة مزدوجة بين إسناد واحتضان وعوْن من جهة ومذابح وضغوط ومحاولات احتواء وتجفيف موارد... من جهة أخرى تبعاً لسياسات